تعقيب على المستدرك على شعر أبي النجم العجلي

عبد الإله نبهان

حمص ـ سورية

كنت نشرت في العدد الثاني والثلاثين من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني مستدركاً مبدئياً على ديوان أبي النجم العجلي ، وقد وقعت في النص بعض هفوات الطباعة أحببت أستدراكها وإلحاقها بفوائد نبهني إليها أخي الأستاذ مصطفى الجدري ، فقد قدّم لي ما ورد من شعر أبي النجم في كتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلاّم الأزدي البغدادي ١٥٧ ـ ٢٢٤هـ . فعدت إلى الكتاب ، واستخرجت الشاهد مع الحديث الوارد ، ووجدت الشواهد المذكورة منها ما لم يرد في الديوان فاقتضى الحال استدراكه ، ومنها ما ورد فاقتضى الأمر إضافة تخريجه . وقد رأيت أن أشفع ما ورد من شعر أبي النجم بما ورد من تعليقات أبي عبيد عليه . ثم قَفّيتُ ذلك بفوائد علقتها من كتاب غريب الحديث للإمام أبي سليمان حمْد بن محمد بن إبراهيم الخطّابي البُستي المتوفى سنة ٣٨٨هـ . وقد قدّمت أولاً ذكر المستدرك عن أبي عبيد ثم عن الخطابي . وألحقت ذلك بذكر ما أشرت إليه من أغلاط طباعية وردت في مقالنا السابق في العدد المشار إليه .

أ ـ ما أخذناه من كتاب غريب الحديث لأبي عبيد :

١ ـ قال أبو عبيد ١ : ١٣٤ : قد أشاح بوجهه إذا جدّ في قتالٍ أو غيره . قال أبو النجم في الجدّ يذكر العير والأُتن :

قُبّاً أطاعت راعياً مُشيحاً لا منفِشاً رعياً ولا مُريحا

يقول : إنه جادّ في طلبها وطرْدها ، والمنفِش : الذي يدعها ترعى ليلاً بغير راعٍ ، يقول : فليس هذا الحمار كذلك ، ولكنّه حافظ لها .

وقد ورد هذا الرجز في الديوان ج١٧ب ٣ ، ٤ ص ٨٢ ، ٨٣ . وذكرناه ههنا ليقترن بشرح أبي عبيد له .

٢ ـ ذكر في الديوان ق١٣ ب١ ص٧٨ البيت : [من الطويل]

تقتّلنا منها عيونٌ كأنّها عيون المها ما طرْفُهنّ بحادجِ

وذكر في تخريجه أنه في التهذيب واللسان . ونضيف أنه في غريب الحديث للهروي ٤ : ١٠٠

٣ ـ ذكر في غريب الحديث ٤ : ٢٥٤ المثلَ الذي يُروى عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير : عَشّ ولا تغترّ ، بمعنى خذ بالثقة والاحتياط . وللمثل قصة ذكرها في غريب الحديث ، وفي كتابه الآخر الأمثال ص ٢١٢ برقم ٦٣٩ . واحتج لذلك المعنى في غريب الحديث بقول أبي النجم :

عشّي فَعيلاً واصعري فيمن صَعَرْ

ولا تريدي الحرب واجتري الوبرْ

ورواية البيت الأول في الديوان ج٢٤ ب١٠ ص ١٠٥ عن الشعر والشعراء لابن قتيبة :

عَشّي تميمُ واصغُري فيمن صَغُرْ

ويبدو أن أبا عبيد استبدل وزن فعيل بتميم ، ويبدو أن (واصغُري) بالغين المعجمة ، من الصَّغار تصحفت في الطباعة إلى (واصعري) بالعين المهملة من الصَّعر وهو التكبر ، وكذلك حصل في «صعر» . ولا مناسبة للصّعر ههنا لأن المقام مقام هجاء وذم . ويبدو ههنا أن ما أثبته محقق الديوان وجامعه عن الشعر والشعراء هو الصواب . أما البيت الثاني الوارد في غريب الحديث فإنه لم يرد في الديوان .

(*) نذكّر هنا أن ج تعني أرجوزة . وب : البيت . وق : القصيدة .

قال أبو عبيد : يقول : خذي بالثقة في ترك الحرب ، وعليك بالإبل فعالجيها ، إنك لست بصاحبة حرب .

٤ ـ ورد في الديوان : ج٢٤ ب٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ص ١٠٨ قوله :

يوم قَدَرْنَا والعزيزُ مَنْ قدرْ وآبتِ الخيلُ وقضّينا الوَطرْ
من الصعافيقِ وأدركنا المئرْ

وقد خرّجها المحقق من التهذيب والجمهرة واللسان . وهي أيضاً في غريب الحديث ٤ : ٤٤٣ وفسّر أبو عبيد الصعافيق بقوله : أراد بالصعافيق أنهم ضعفاء ليست لهم شجاعة ولا قوّة على قتالنا .

٥ ـ ذكر أبو عبيد ٤ : ٢٢٢ حديثاً عن ابن عباس ورد فيه الحرف «رِجْل» بمعنى الجماعة الكثيرة من الجراد . فقال أبو النجم يصف الحُمُرَ وتطاير الحصى عن حوافرها فقال :

كأنّما المعْزاء من نضالها رِجْلُ جرادٍ طار عن خذّالها

وورد هذا الرجز في الفائق ٢ : ٤٧ مادة «رجل» وروى أوّله : كأنما الغرّاء . . ويبدو أنها مصحفة عن المعزاء ، لأن الرجز ورد أيضاً في اللسان ، والحيوان ٥ : ٥٦٣ برواية المعزاء .

وقد ورد هذا الرجز في الديوان ج٥٦ ب١٢ ، ١٣ ص ١٦٣ نقلاً عن الحيوان والفائق . وأثبت فقط الرواية التي رجّحها الأستاذ المحقق عبد السلام هارون وهي :

رِجْلُ جرادٍ طار عن جدالها

بالحاء والدال المهملتين ، بمعنى المراوغة كما دوّنها محقق الحيوان في الحاشية من غير أن يربط معنى البيت بها . ولم يشر محقق الديوان إلى رواية الفائق واللسان وغريب الحديث «خُذّالها» .

٦ ـ ذكر أبو عبيد ٤ : ٢٢٠ ما ورد في حديث ابن عباس حين قيل له : أقرأُ القرآن في ثلاث . فقال : لأن أقرأ البقرةَ في ليلة فأدَّبرها أحبُّ إليّ من أن أقرأ كما تقول هَذْرَمةً .

قوله : هذرمةً يعني السرعة في القراءة وكذلك في الكلام . وقال أبو النجم يذمّ رجلاً :

وكان في المجلس جَمَّ الهَذْرَمَهْ ليثـاً على الـداهيـة المكـتّمـهْ

وظاهر من تدبّر المعنى أن البيت الأول ذمّ وهجاء والثاني مديح وإطراء حسب هذه الرواية ، لذلك نرجح أن يكون الأصوب في رواية البيت الثاني ما ورد في اللسان «هذرم» :

لَيْنَاً على الداهية المكتّمه

فهذا اللين مناسب لسياق الذم .

وقد ورد هذا الرجز في الديوان ج٦٦ ب ١ ـ ٢ ص ٢١٩ وعلق عليه المحقق بقوله : إن أبا النجم يتمدّح بجدّه الهذرمة ، وهذا تعليق عجيب . وقد ذكر أبو عبيد والزمخشري في الفائق ٤ : ٩٩ وصاحب اللسان أن البيت في ذمّ رجل .

٧ ـ ذكر أبو عبيد ٣ : ١١٧ الحديث الذي ورد فيه حرف «القاه» : يارسول الله إنّا أهلُ قاهٍ . . . . وفسّر «القاه» بأنه سرعة الإجابة وحسن المعاونة ، وأصله الطاعة . ومنه قول رؤبة بن العجاج ويقال إنها لأبي النجم :

تـالله لـولا النـارُ أن نَصْـلاهـا أو يـدْعـوَ النـاسُ علينـا الله

لَـمَـا سمِـعْـنـا لأمـيـرٍ قـاهـا فـأخـطرت سعـدٌ على قـنـاهـا

قال : يريد الطاعة .

قلت : ووردت الأبيات الثلاثة الأولى في الفائق ٣ : ٣٢٧ مادة «قيه» منسوبة لرؤبة بن العجاج . ولم أجدها لا في ديوانه ولا ديوان أبيه .

ورأيت الرجز في اللسان «قيه» منسوباً للزّفيان السعدي ، وقبله :

مـا بالُ عينٍ شـوقُها استبكـاهـا في رسمِ دارٍ لـبسـت بـلاهـا

ثم ورد سائر الرجز باستثناء البيت الأخير .

ب ـ وهذا ما عثرنا عليه لأبي النجم في كتاب غريب الحديث للإمام الخطابي

٨ ـ ذكر في غريب الحديث ١ : ١٧٢ قوله : فدفعنا إلى المسجد فإذا هو بأَزَرٍ . قال : بأَزَرٍ يريد بجمعٍ كثير ضاق عنهم المسجد . الفضاء منهم أَزَزٌ والبيت منهم أَزَزٌ إذا غصّ بهم . وقال أبو النجم :

واجتمـع الأقـدامُ في ضيـقٍ أزَزْ

قلت : والرجز في التكملة للصاغاني واللسان «أزز» وقبله :

أنـا أبو النجم إذا شُـدّ الحَجُزْ

ورويّ الزاي هذا لم يرد في الديوان .

٩ ـ وجاء في غريب الحديث ٢ : ٤٠٤ الحرف «فُرّها» أي انظر إلى سنّها ، يعني سنّ الناقة . يقال : فررت الدابة إذا فتحتَ فاها لتعرف سنّها . قال أبو النجم :

وكم تـركنـا بـالـفـلاة جمـلا يفُـرُّ للغِـرْبـان نـابـاً أعصـلا

وهذا رجز لم يرد في الديوان .

١٠ ـ الرجز في ج٥٨ ب ٨٣ ، ٨٤ ص ١٩١ : الشوّل . . . الأيّل يضاف إلى تخريجه أنه في غريب الحديث للخطابي ١ : ٤٦٣ .

١١ ـ الرجز في ج٥٨ ب٢٥ ص ١٨١ . . . سنامٍ مجفل يضاف إلى تخريجه أنه في غريب الحديث للخطابي ٢ : ٤٤٨ .

١٢ ـ الرجز في ج٧٤ ب٧ ، ١ ص٢٢٧ جرّاها ـ واها يضاف إلى تخريجه أنه في غريب الحديث للخطابي ١ : ٤٦٤ .

ج ـ أما الأغلاط الطباعية التي وردت في مقالنا في العدد ٣٢ فهي :

- في ص ٢٥٨ سطر ١٣ : بضم الواو والصواب بضم الراء .
- في ص ٢٦١ السطر ١٥ ورد : الحذَذ : هو حذف الوتر . . والصواب الوتِد .
- في ص ٢٦٦ السطر الأخير : وصوب الرمل . . . وقد ورد هكذا في كتاب ما بنته العرب على فعال للصاغاني . ويبدو أن صوابه كما أشار الأستاذ الحدري : وصوّب الرملة . . وبذلك يستقيم الوزن .
- في ص ٢٦٩ السطر ١٦ ورد : رابي المجسة . . والصواب : السجسّ
- في ص ٢٧٨ سطر ١٥ ورد : غير رماد الحيّ والأثغيّ والصواب : والأثفيّ بالفاء المعجمة .

وبعد ، فهذا جملة ما اجتمع لي مما استحسنت التعقيب به على مستدركي الأول ، راجياً أن أكون قد أضفت شيئاً ذا بال على ما تقدّم . . وما زال رجز أبي النجم بحاجة إلى كثير من العمل والجهد .

مصادر البحث

- كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام . تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش . منشورات جامعة الملك عبد العزيز ١٤٠٠هـ .
- التكملة والذيل والصلة للصاغاني . دار الكتب المصرية «الجزء ٣ بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم» ١٩٧٣
- كتاب الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ـ مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م
- الشعر والشعراء لابن قتيبة ـ دار الثقافة ـ بيروت ١٩٦٤ .
- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام . دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦
- غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي . تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي . منشورات جامعة أم القري ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .
- الفائق في غريب الحديث للزمخشري . تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي . مطبعة عيسى البابي الحلبي . طبعة ثانية .
- لسان العرب لابن منظور . دار صادر بيروت .